ميزان الحق والباطل

الميزان النبوي الذي لا يخطئ في معرفة الحق عند اختلاف الناس في دينهم

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٦ ربيع الأول ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربنا ﷻ قد رحم العالمين رحمةً واسعةً عظيمةً ببعثة سيد ولد آدم أجمعين، ببعثة خاتم النبيين والمرسلين، محمد بن عبد الله ﷺ، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فنزّل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، وأنزل إليه الذكر ليبيّن للناس ما نزل إليهم، وأمره بأن يَصدع بما أُمر، وأن يُعرض عن الجاهلين، فقام ﷺ بما أمره به ربه، فأدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فبيّن وقرّر، وبشّر وأنذر، وعلّم وربّى، ودعا إلى الهدى ﷺ.

فما ترك شيئاً يقرّبنا إلى ربنا، وننال به الفوز العظيم، إلا بيّنه لنا ﷺ، وما ترك شيئاً يؤدّي بنا إلى الرّدى إلا حذّرنا منه ﷺ، فربّى النبي ﷺ أمته على ما يقرّبها إلى ربها ﷻ، ويباعدها عن غضب ربها ﷻ.

ربّى الأمة على أن العبادة كلها لله، تشريعها، والعمل بها، والقصد فيها؛ كله -يا عباد الله- لربّنا ﷻ، فلا يُشرع من العبادة إلا ما جاء في كتاب الله، أو على لسان رسول الله ﷺ، أو عمل به رسول الله

ﷺ، أو أقرّه رسول الله ﷺ، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠].

فمن أيقن بالموت، وأيقن بالبعث بعد الموت، وأيقن بلقاء الله عز وجل، وأيقن بأن الله سيكلّمه، ليس بينه وبينه ترجمان، ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، ليكون من الفائزين المُزحزَحين عن النار، المُدخَلين الجنة، والعمل الصالح -يا عباد الله- إنما يُعرف صلاحه بدلالة ربنا عليه سبحانه وتعالى، ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾، فلا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، ولا يقصد بعبادته غير الله سبحانه وتعالى.

وربّى النبي ﷺ أمته على الإخلاص لله عز وجل، وقال ﷺ: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتُغي به وجهه».

وبيّن النبي ﷺ لأمته السنة، وفضيلة لزومها، وفضيلة إحيائها، فقال ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».

فبيّن النبي ﷺ أن السنة الشرعية هي سنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، وأن الهُدى هو هَديه ﷺ، فكان يكرّر في خطبه: «وخير الهدي هدي محمد ﷺ».

وبيّن لكم -يا معاشر الأمة- أن الخير في إحياء سنته ﷺ، فقال ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئاً»، وقال ﷺ: «من أحيا سنة من سنتي، فعمل بها الناس، كان له مثل أجر من عمل بها، لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئاً».

فالسنة -يا عباد الله- هي سنة النبي ﷺ، وسَنُّ السنة الحسنة من المؤمن -يا عباد الله- إنما هو إحياء سنة النبي ﷺ -ولا سيما إذا أُميتت-، ليراها الناس، وليقتدي به الناس فيها، فمن فعل ذلك كان على فضل عظيم، وله الأجر الكريم.

وحذّر ﷺ أمته من البدع وإحداثها، وبيّن لها معنى البدع بياناً واضحاً لا لَبس فيه، وحذّرها من إحداثها، والعمل بها، فقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»، وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»، وقال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة».

فالبدعة -يا عباد الله- هي شيء مختَرَع محدَث، يُنسب إلى دين الله، لم يكن عليه أمر رسول الله ﷺ.

فإذا كان ذلك كذلك، فإنه لا يكون هُدى، ولا يكون خيراً، وإنما هو ضلالة، فإن نبينا ﷺ كان يقرر، وكان يكرر، في خطبه، فيقول ﷺ: «إن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، ويقول: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فالنبي ﷺ حذّر من إحياء البدع، ومن العمل بالبدع، فالموفّق –يا عباد الله– من عمل بما جاء به رسول الله ﷺ، وقال: سمعت وأطعت، وقال: سمعت وأطعت، وقال: سمعت وأطعت.

عباد الله، إن نبينا ﷺ قد نصحنا، وبيّن لنا، أن أمته ستختلف في دينها، وسيختلف المسلمون في عباداتهم، فمنهم من يقول: هذه عبادة، ومنهم من يقول: هذه بدعة، وبيّن لنا الناصح الأمين ﷺ الميزان الذي لا يخطئ في معرفة الحق عند اختلاف الناس في دينهم، فقال ﷺ: «فإن من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

فإذا اختلف الناس في زماننا في أمر من الأمور، فمن الناس من يقول: إنه عبادة، وإنه قربة، وإنه أمر حسن، ومن الناس من يقول: إنه بدعة، فهاهو الميزان –يا عباد الله–، الواجب علينا أن نعرضه على سنة النبي ﷺ، وعلى سنة الخلفاء الرشادين المهديين –رضوان الله عليهم–.

- فإن وجدناه فيهما فعلى الرأس والعين، قبلناه، وتقرّبنا إلى الله عز وجل به، وحثثنا الناس على عمله.
- وإذا لم نجده فيهما علمنا يقيناً أنه محدَث، وأن النبي ﷺ حذّرنا منه، فاجتنباه، وابتعدنا عنه، وحذّرنا أمة النبي ﷺ منه.

عباد الله، عباد الله، إن دينكم قد كَمُل في حياة سيدكم ونبيكم محمد ﷺ، أكمله الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]، وحفظ الله لكم دينكم، فلم يغب منه شيء عنكم، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:٩].

ونبيكم ﷺ قد بيّن غاية البيان، فوربّ الكعبة، فوربّ الكعبة، فوربّ الكعبة! إنه ما كتَم، ولا قصّر، بل بيّن وحذّر، وبشّر وأنذر، وكرّر وكرّر وكرّر، ودلّ الأمة على الخير، وحذّرها مما يُضادّه، فلم يَبقَ

-يا عباد الله- للإحداث أو للابتداع في دين الله مكان، بل كل شيء يُضاف على دين الله الذي كان في زمن رسول الله ﷺ، فإنه ليس منه، فإن الكامل لا يقبل أن يُضاف إليه شيء، بل يكون المضاف إليه خارجاً عنه -يا عباد الله-.

فالواجب على المؤمن أن يعلم أن الخير كله هو في لزوم شرع الله، وأن البدع لا خير فيها، وأن المبرِّرات الحسنة -مهما اجتهد أصحابها في بيانها وتقريرها- لا تجعل العمل المحدَث حسناً أبداً، وأن النيات الصادقة، وأن المقاصد الحسنة، لا تجعل الأمر المحدَث حسناً أبداً.

جاء -يا عباد الله- ثلاثة نفر إلى بيت من بيوت رسول الله ﷺ، فسألوا عن عبادة رسول الله ﷺ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالّوها، وقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنا مؤاخذون بذنوبنا؟ فبرّروا تبريراً حسنا، وقالوا كلاما معقولاً كما يقال، ثم قال أحدهم: إني لا أتزوج النساء، وقال الآخر: إني أصوم ولا أفطر، وقال الآخر: إني أقوم ولا أرقد، فأحدثوا لأنفسهم أعمالاً هي في ظاهرها حسنة، يُجهِدون أنفسهم من أجل إرضاء الله عزَّ وجلَّ، ولا شك أن مقاصدهم حسنة، طيبة، مباركة.

لكن النبي ﷺ لما لقيهم -وقد علم بما قالوا- هل أثنى عليهم؟ هل قال لهم: بُشراكم الجنة؟ لا وربّ الكعبة! بل حذّرهم، وبيّن لهم، وقال ﷺ: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما إني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فبيّن للأمة أن التبريرات الحسنة، وأن المقاصد الحسنة، وأن الصورة الحسنة، لا تجعل العمل صالحاً، وإنما الذي يجعل العمل صالحاً: أن يكون ذلك جاء عن مِشكاة النبوة، عن طريق رسول الله ﷺ، وأن يكون العبد مخلصاً لله عزَّ وجلَّ.

ثم قال جملة تهتزّ لها القلوب المؤمنة: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فالعبد المؤمن يحتاط لنفسه -يا عباد الله-، فإذا لم يعلم أن الأمر كان في سنة النبي ﷺ، فإنه لا يفعله -مهما شكّكه المشكّكون، ومهما زيّن له المزيّنون-، فإنه يخاف أن يدخل في هذه الجملة، التي يخاف كل مؤمن من أن يكون داخلاً فيها؛ «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، إنه لا يوجد مؤمن -يا عباد الله- يحب ألا يكون من الرسول ﷺ، بل كل مؤمن يريد أن يكون معه، وأن يكون منه.

إذا كان ذلك كذلك –يا عبد الله– فعليك بسنة رسول الله ﷺ؛ الزمها، فإن علمت الأمر من السنة –إن علمت الأمر الذي يُنسب إلى الدين من السنة–، فكن من أهله –يا عبد الله–، وإن علمت أنه من البدع فاحذره، وابتعد عنه –يا عبد الله–، وإن شككت في الأمر فلا تُدخل نفسك في احتمال الدخول في هذه الجملة العظيمة؛ «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فالموفَّق –يا عباد الله– من أتعب نفسه في طاعة الله، على سنة رسول الله ﷺ، واقتصادٌ في سنة خير من اجتهاد في بدعة.

فاللهمّ اهدِ قلوبنا، اللهمّ اهدِ قلوبنا، اللهمّ اهدِ قلوبنا، واهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك.

اللهمّ أرِنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضلّ.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا أتباع محمد ﷺ:

اعلموا أن من أعظم فرائض الدين: محبة النبي ﷺ، وأن يُحَبّ فوق كل مخلوق، يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال رضي الله عنه: والله لأنت الآن أحبّ إليّ من نفسي!

فواجب عليك –يا عبد الله– أن تكون محبة رسول الله ﷺ في قلبك فوق محبة كل مخلوق، وهذه المحبة –يا عباد الله– ليست دعوى بالألسنة، بل أمرٌ يستقرّ في القلوب، ويظهر أثره على الأعمال، فمن أحبّ النبي ﷺ فإنه يحب ما يحب ومن يحب، ويُبغض ما يُبغض ومن يُبغض، ويصدّقه فيما أخبر.

وكان النبي ﷺ يحب العبادة، ويُبغض البدع، وأخبرنا أن كل محدثة بدعة، فواجب علينا أن نصدّق النبي ﷺ في ذلك، وهو العربي الفصيح، أفصحُ من نطق بالضاد من الناس ﷺ، يقول للناس دائماً: «فإن كل محدثة بدعة»، ولا يَستثني من ذلك شيئاً، وهو ﷺ يعلم أن (كل) من أقوى أدوات العموم، وأن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فعلمنا علم اليقين أن كل محدثة بدعة.

ومن مقتضى محبتنا لرسول الله ﷺ أن نتّبعه، وأن نلزم سنته، وأن نحذر مما حذّرنا منه، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

فيا عبد الله، يا مُحِبّاً لرسول الله ﷺ، إن أردت أن تكون قريباً من رسول الله ﷺ، وأن تكون من وُرّاث رسول الله ﷺ، وأن تكون ممن يحبهم الله، ويغفر لهم ذنوبهم، فعليك بتجريد الاتّباع لرسول الله ﷺ، عليك بالشرع المتين؛ تمسّك به، وإياك والأهواء، وإياك والعواطف، وإياك وما يزيّنه الناس إن لم يثبت في سنة النبي ﷺ.

هداني الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى، وأكرمنا بالتمسك بسنة سيد المرسلين.

ثم اعلموا –عباد الله– أن من خير أقوالكم، وأزكاها، وأعلاها فضلاً، وأعظمها أجراً: صلاتكم وسلامكم على نبيكم ﷺ، فإن ربكم يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وإن حبيبكم ﷺ يقول: «من صلّى عليّ واحدةً صلّى الله عليه عشراً».

ويقول ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدةً صلّى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

ويقول ﷺ: «ما من عبد يُصلّي عليّ إلا صلّت الملائكة عليه، ما دام يُصلّي عليّ، فليُقِلّ أحدكم أو ليُكثِر».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، اللهمّ إنا عباد من عبادك، ضعفاء مذنبون، لا حول لنا ولا قوة إلا بك، ولا رجاء لنا إلا فيك، جئناك يا ربنا، وقعدنا في بيت من بيوتك، لنؤدي فريضة من فرائضك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ أنزل علينا رحمةً ترحمنا بها إلى يوم الدين، اللهمّ أنزل علينا سكينة تطمئنّ بها قلوبنا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، كما جمعتنا في هذا المسجد، في هذه الساعة، في هذه الفريضة، اجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، إلهنا يا كريم، لا تحرم منّا أحداً، لا تحرم منّا أحداً، لا تحرم منّا أحداً.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة المحيا، وفتنة المسيح الدجال.

اللهمّ إنا نعوذ بك من دنيا تُطغينا، اللهمّ إنا نعوذ بك من دنيا تُطغينا، اللهمّ إنا نعوذ بك من دنيا تُطغينا.

اللهمّ إنا نعوذ بك من عمل يُبعدنا عنك، اللهمّ إنا نعوذ بك من عمل يُبعدنا عنك، اللهمّ إنا نعوذ بك من عمل يُبعدنا عنك.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.